لماذا لم تنجب الأمّة الألمانية شاعرة عظيمة كما أنجبت شاعرا عظيما مثل (غوته) ؟

الشاعرات الألمانيات من القرن السادس عشر وحتى العصر الحديث

ELISABETH VON BRAUNSCHWEIG-LÜNEBURG (1510—1558)

MARIANA VON ZIEGLER (1695—1760)

ANNA LOUISA KARSCH (1722—1791)

ISOLDE KURZ (1853—1944)

انجيلا بريزنت
ترجمة:قاسم مطر التميمي

MARIE LUISE KASCHNITZ (1901—1974)

SARAH KIRSCH 1935

الشعر ؛ قد يكتبه أيّ أحد (اذا ما توفر له المران على كتابته فقط) ولا يقرأه أحد قط . أنّ ما نميل الى قراءته - نحن الألمان في هذا الزمان - هو النثر الواقعي ، غير أنّ دواوين شعر احتلت واجهات المكتبات التجارية الكبرى ظهرت في الآونة الأخيرة تمكنت من أن تغير من مزاج القرّاء لأنها طرحت في النهاية جوابا على ذلك السؤال الكبير المتحيز : لماذا لم تنجب الأمّة الألمانية (غوته) امرأة ، كما أنجبت (غوته) الرجل ؟

هذه الحقيقة أدت الي ظهور دراسة أكاديمية ذات عنوان مموه : ((الشاعرات الألمانيات من القرن السادس عشر وحتى العصر الحديث)) لا تكمن خلف هذه الدراسة حقبة تمتد الى ألف سنة ، وانّما تقتصر على ثلاثة موضوعات ليست على نموذج معيّن :

- موجز تأريخ أدبي مستقبلي لأديبات ألمانيات .
- مؤلف يحتوي على سير ذاتيّة وافية عن شاعرات ألمانيات .
- مختارات شعريّة .

ومن ضمن التسع والخمسين شاعرة التي أورد الكتاب أسماءهن وعرض سيرتهن ، تسع عشرة شاعرة عشن أو كتبن في القرن العشرين، أمّا الأخريات ، وكنّ مشهورات في زمانهنّ ، فقد تعرضن الى تهميش مقصود وطمرن تماما حتى لم يعد بوسع المرء أن يجد لهنّ قبرا في مقابر التاريخ الأدبي !

لقد كشف مؤرخ الأدب الألماني (جورج جوتفريد جيرفينيوس) في تناوله المسألة البلاغية عن مدى التحيز الذي جوبهت به النساء الكاتبات من طبقة الصفوة الاجتماعية المثقفة .

الناشرة (جيزللا برنكر) اكتفت بالقول : إن الأشعار ((ذاتية ومنحازة)) وقد اختيرت طبقا لوجهات نظر نسائية يفهم منها ؛ ((مطالبة المرأة بحقوقها الإنسانية الكاملة والتعريف بذاتها الى أبعد الحدود .)) - والى جانب التعريفات الأنثوية المتداولة اليوم ، (على سبيل المثال : شولامث فايرستون : انقلاب الطبقات الاجتماعية القديمة والمتحجرة) فهناك مفاهيم دفاعية مسالمة ولكنها قابلة للتطبيق ، تتيح للمرء أن يقيم من خلالها أدب أربعة قرون ونصف .

أسماء الشاعرات الأوليات اللائى نواجههن في هذا المصنّف هنّ شاعرات عصر النهضة . الشعر نشأ كنتاج ثانوي لثقافة نسائية ، وهو ما آل الى ضرورات مكررة لأحاديث الرجال . يقول الشاعر الايطالي (بيترو بيمبو) Pietro Bembo (1470 - 1547) : ((إن على الفتاة أن تتعلّم اللاتينية ، اذا أرادت أن ترفع من جاذبيتها نحو القمّة .)) الجاذبية الحقيقية المعقولة بالنسبة للنساء الكاتبات كانت أمرا مؤكدا : عليهم أن يشجعونهنّ لا أن يلجأوا الى السخرية منهن والحطّ من شأنهنّ .

أمّا متى لا تعد المرأة المثقفة المبدعة مقبولة ومسلية ؟ فهذا ما أجاب عنه أحد أساتذة فن الشعر سنة١٦٥٢ قائلا : ((عندما تضع قدميها على عتبة الشهرة !)) أما الشاعر (يواخيم راخيل) فقد ورد في بيان له صدر سنة ١٦٦٤ قوله : ((الأقلام واللحى تخصّ الرجال وحدهم .)) ودلل على أنّ المسألة لها وجهان ؛ أخلاقي واقتصادي : هل من الممكن عدّ النساء الألمانيات المثقفات قريبات الشبه من (سابفو) Sappho) شاعرة إغريقية سحاقية عاشت في القرن السادس قبل الميلاد في جزيرة لسبوس) اللاتي أهملن لهم الواجبات المنزلية ؟ ! وطلائع الشاعرات الألمانيات المعروفات صدعن برأيهن مدافعات عن أنفسهن بالحجة والدليل الدامغ ومعلنات ذلك حتى على صورِ أغلفة دواوينهن ؛ بأنّ الشعر عندهن ليس إلا عملا ثانويا بالنسبة لأعمال المنزل . هذه المعاناة المضاعفة لها تقليد قديم .

في القرن الثامن عشر برز مجددا عدد كبير من النساء الشاعرات ، ينتمي معظمهن الى أسر الموظفين ؛ وعاد مجلس الأنس ثانية الى السؤال : هل أن مساهمات النساء مطلوبة؟ حقا إنهن لم يتنصلن عن إبداعاتهن، وقلما أتيح لهن ممارسة مواهبهن العقلية والفنية ، تماما كما حدث للأمريكيين السود فيما بعد . تقول الشاعرة (ماريانا فون تسيجلر) سنة ١٧٣٩ :

اذا استقرت النكتة في جبين رجل /
صار من حقه أن يقول هذه الجملة : /

لا يمتلك الجنس الأنثوي /
خيط عنكبوت في الدماغ . /

من المؤسف أنّ طاقات كبيرة قد تبددت في غضون قرون متعاقبة على مثل هذه المسوغات . وعلاوة على ذلك فقد تمكنت الشاعرة (ماريانا فون تسيجلر) من عرض أشعارها الغنائية على الموسيقار (باخ) ليضع لها ألحانا، وهي أول شاعرة تكللت مساعيها بالحصول على شهادة من احدى الجامعات، وأول امرأة استغلت هامش الحريّة المتاحة ، فكانت أول عضوة في الجمعية الألمانية في لايبزغ : ترملت مبكرا وكانت مثرية، وأشعارها كما يشير الى ذلك كتّاب سيرتها ، هم أطفالها الذين تحبذ ولادتهم خارج مؤسسة الزواج .

(آنا لويزا كارش) أول امرأة ألمانية عاشت على إيراد نتاجها الأدبي . انتقلت سنة ١٧٦٠ الى برلين، فقد كتبت عنها (جيزللا برنكر . جابلر) تقول : ((الاتجاهات المذهبية الشخصية البسيطة استحسنت الحركة الأدبية التي تنادي بالرجوع الى الطبيعة . أصدقاؤها (جلايم) و (راملر) و(سولتزر) ما زالوا يتمسكون بشعر ذي سلطان لاعتقادهم بأنّ الوزن القديم والأسطورة من الأدوات التي لا غنى عنها في الشعر . آنا لويزا كارش أعمتها الشهرة واعجاب الجمهور فوقعت أسيرة لهذا التأثير .

ولاعادة التربية التي يمكننا تصور حتمية حدوثها ، لا يحتاج المرء الى معرفة متخصصة بالتاريخ الأدبي، فالمرأة الموهوبة التي وضعت هذا الكتاب ، مستقلة عن المرحلة التي كتبت عنها، حالة خاصة لـ (صيد كريم) إنما هي مشروع بجماليون (بجماليون : الرجل الذي عشق في موقف رائع . أسطورة إغريقية) ؛ لا أحد تجشم عناء تعلم أساليبهنّ بجدارة بما في ذلك كبار المعلمين في جميع الأزمان وانما كان هدفهم دائما أن يتخذوا من أعمالهن مادة خاما يصوغونها على نحو فاخر . ونورد على سبيل المثال مقطعا من رسالة بعث بها الشاعر (شلر) سنة ١٧٩٧ الى زميله الشاعر (غوته) يتحدث فيها عن تلميذاته العاملات معه : ((إنني مضطر الى الإعراب عن دهشتي للمهارة البالغة التي تتمتع بها نساؤنا الآن في الكتابة التي تقترب من الفن)) . لا عجب أنّ (صوفي ميرو) التي تنتمي الى المعترضين قد امتدحوها بسخرية وحبذوا لها أن تحصر اهتماماتها بكتب الأخلاق وكتب الطبخ .

وبالسرعة التي اتفق فيها نقاد الأدب من كل الأزمان حول تقييم الشاعرات ، فقد جمعن في جنّة الأدباء حول مائدة مستديرة دونما عناء ، لتتحاور الشاعرات فيما بينهنّ عبر القرون . هذا الكتاب أفرز لا تاريخية تثير الدوار : فهل أنّ الآلام التي تمخضت عن تقسيم العالم الى حيز أنثوي محتقر وآخر ذكوري موقر تبقى ماثلة أبدا؟ واذا كانت هذه الحقيقة قائمة منذ أمد بعيد ، فهل هناك من يسوغ طرح هذا السؤال : لماذا لم تنجب الأمة الألمانية شاعرة عظيمة كما أنجبت شاعرا عظيما ؟ !

خارج المدى

عن المثقف وعن المرأة

د. سهام جبار

لم أزل الاحظ ان المثقف العراقي في مناسبات مصارحة النفس وفي مجال الاجابة عن مكانه من المسؤولية في نشر خطاب دكتاتوري أو فردي ضيق هيمن على ساحة الحياة العراقية طوال أجيال وعلى اشكال مختلفة من مجالات الطرح ومستويات التفكير، اقول لم أزل الاحظ انه يتجاهل مسؤوليته عن نشر وهمه المتعالي بقدرة الذكورة على اعطاء الأفضل في مجالات الفن والادب والثقافة، بل الحياة عامة، ولسنا ببعيد عن تداول مفاهيم نقدية وادبية من مثل (الفحولة)، (والادب النسوي) و((ريادة الشعر بوجهها السيابي لا الملائكة)، وبامتداد بعيد الى تراث يذكر الشواعر بتقليل شأن كبير متوج بقول وجه الى الخنساء (لو لم تكوني امرأة لفضلتك .. الخ).

يتواصل المحدثون في احتكار منبر التحديث فاذا ما ذكرت شاعرة أو اديبة وضعت في الخانة اياها من التميز مقارنة ببنات جنسها لا ضمن سياق الإبداع نفسه.

ان مشاكل التضييق على الحرية، إذن صدرت من المثقفين اذ لم يحرروا انفسهم من مظاهر انكفاء وازدواجية وارتداد ونكوص كثيرة قبل ادعاء انهم ثوريون أو أصحاب مواقف فاعلة ازاء الظلم السياسي لاسيما الدكتاتورية، بل ان عدداً كبيراً وجد خلاصاً سريعاً (وهو يعد مجال استثمار) في ملاذات الغرب والتأسيس الفردي الضيق المتمتع بقدرات الذكورة على الخروج الى العالم وارسال خطاب نرجسي مطلق الصواب على المواقع الالكترونية ووسائل النشر المتواطأ عليها بين الاخوة المتشابهين، وغالباً ما يقع ذلك في اطار انفعالي وفي اشكال خصومات وكراهية إذ هي متضمنة العنف والقسوة والغاء الاخر في سياق يدعي انه ثقافي أو ديمقراطي كما يفترض في اصل كل فعل ثقافة.

لقد مارس المثقف إذن عملية تصدير عنف على طول الخط لكن بطريقة يشاؤها ان تختلف عن طرائق المسلحين والمنتمين الى جماعات.

ولقد مارس المثقف عملية المتمتع باثرة ومحدودية في قطف ثمار وجوده المترف المتعالي على جموع الطبقات الجاهلة الفقيرة إذ هو غير معني بسوى كيانه الضيق الزائل في نبذ مهمشين في نطاق الثقافة التي تضمه.

ولعل واقعنا الثقافي قد شهد قبل السنوات الثلاث الاخيرة وبعدها سعي افراد من الطبقات الجاهلة الفقيرة الى الانتقام من انتصار النخبة المستأثرة (بالغنيمة) في مانشهده من انتشار خطاب محدود العلم والمعرفة، لكنه يصدر عن شعور بالهامشية والمظلومية والغبن بما يشابه واقع المراة الهامشي والمظلوم والمقلل شأنه على طول الخط. ولقد شهدنا القوة الكاسحة لوجود (المثقف) الجديد بوصفه ممثلاً لفئات مجتمعية قد مورس عليها الاضطهاد والظلم أبان الحكم الدكتاتوري ومن هنا لابد من ان يكون استردادها المنبر صورة لرد الاعتبار لهذه الفئة أو تلك، وما مهرجانات احياء الذكرى في تماه مع الماضي الا فرصة تأكيد وجود للفئة أو الملة التي يمثلها (السجاعون والندابون الناكصون عن خط التحديث الابداعي) لاحتكار موقع تمثيل الثقافة العراقية بالغاء آخر مختلف أو مناوئ حتى ان جاء الملفوظ بترديد ما يأكل الدهر عليه ويشرب كل يوم في وسائل الإعلام من ان لا فرق بين كذا وكذا.

ان هؤلاء الجدد هم الوجه المكمل لاولئك الذين اقتاتوا على ثقافة الغرب للاستهلاك وزرع ملاذ لا الاستثمار في عقود الانفتاح على العالم، فالاثنان غائبان عن تحقيق فاعلية مشاعية الثقافة والانتصار للنظام وللمنطق ولكل علوم التحضر والحياة ورفعة الإنسان .

ليس من الغريب ان تقع المراة في خضم ذلك ضحية كل أنواع التكالب والهيمنة في واقع من صراع وحشي بين قوى عنيفة في الحياة العراقية، فالقتل من درجات، وعلى المرأة تقع درجات هذا القتل كل يوم فيكتسح وجودها وحريتها وسلامها من دون ادنى ذنب أو مساس منها فأسباب الكارثة، انني أدون احتجاجاً انسانياً صارخاً بعد ان كنت أرباً حتى باعتراف ان لهذه التسميات (ذكوري ، انثوي...الخ) قيمة وجدوى في الخطاب الابداعي والثقافي. لقد دخلنا في جحور الموت بفضل اشهار ذكور البلاد أو المنطقة أو من اليهم أسلحتهم الأشد فتكاً سواء كانوا (صدام) أو إرهابييه السابقين أو اللاحقين أو كانوا قطعان المنتقمين المدافعين عن قيم صنميه معلاة أو أياً كانوا..

(ولو كان بالامكان الذهاب الى يوتوبيا حكم الانوثة بوصفها معنى حضارياً لا بيولوجياً ضيقاً لتخيلنا قدرة سلام ومحبة مفقودة تبقى سجينة تخيل وافتراض) لكننا مع رداءة واقع لا نرى غيره نسأل: الى متى يظل المثقف مشمراً ردني التعالي والاثرة عند البحث في الحلول لمشكلات دور الثقافة في التغيير وقدرة الثقافة على الإتيان بالإجابات، واللاأدرية والقنوط اللتين يصوغ بهما المثقف وجوده بعد ادوار من الاتكالية على المؤسسة والنوم في الملاذات بأمان مع تفاخر وعنجهية مستمرين.. الى متى تجيء به مناسبات مصارحة النفس والبحث في فعل الثقافة وجدواها..

هذه كلمة ربما هي قريبة من عيد للمرأة انصرف مثل كثير من الأعياد لأن مجازر قتل واستباحة أرواح هي السائدة مع خطاب فئوي منبري لعله يريد ان يقتنص تسمية انه خطاب ثقافي مفترشاً المزيد من الهيمنة والمزيد من العنف بكل تأكيد !

٢٠٠٦/٣/٢٥

الواحة

الفريد سمعان

واحة للحب اصبحت بصحراء حياتي
صدقيني
حومي فوق اخاديد خيالاتي
بصمت .. حاوريني
وخذي
كل الذي تهوين مني
نظراتي
عبراتي
امنياتي
نزواتي
لهفاتي
حسراتي
وانثري عبر مروج الصبح
انفاس العصافير
وباقات حنين
حملت برد المنافي
ومواعيد.. النبوءات
دعيها تتوارى في ضلوعي
ولكن ..
حاذري .. ان تتركيني
رافقت ترانيم خطاك
وعلى خديك.. سالت شهقاتي
وارتوت منك غصوني
وتحديت ضباب العمر
غادرت محطات احتراسي
وتحاملت على موضع الخذلان
اطفأت قناديل اكتئابي
متعباً .. صليتُ
للاحزان
اطلقت على شاطئ الآهات
اوراق اعتذاري
كي توافي شرفاتي
نسمات من بساتينك
جذلى..
كي تناغيني
وتغفو
فوق افياء جفوني
صدقيني
❖❖❖
تسبق الشوق اليك
كلماتي
ترتدي ثوب الازاهير
وترتيل الحمامات
واشذاء الرؤى الخضراء
تدعوني اليك
صدقيني
❖❖❖
انا لوحتُ لاشواقك